

جدلية المقدس والآخر في الأنثروبولوجيا السياحية: الحج نموذجاً

The Dialectic of the Sacred and the "Other" in Tourism Anthropology:
Pilgrimage as a Case Study

د/ مسعود بودربالة¹

M.bouderbala@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/29 تاريخ النشر: 2026/06/11

Received: 29/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال :

تتناول هذه الدراسة السياحة الدينية كظاهرة أنثروبولوجية تجمع بين الروحانية والانفتاح الثقافي في ظل العولمة، من أجل إبراز التحدي المتمثل في صون البعد الأنثروبولوجي للمقدس الذي تحمله المزارات مقابل تدفق الزوار، فبينما تمثل هذه السياحة فرصة لتعزيز التفاهم بين الثقافات، فإنها تواجه تحديات تتعلق بالحفاظ على الطابع الديني للأماكن المقدسة. وقد اكتسبت شعيرة الحج أهمية كبيرة في بعدها السياحي، كونها من الشعائر المشتركة في غالب الأديان الوضعية منها والسماوية، لذلك نتناولها نموذجاً في دراستنا. وتتمحور إشكالية البحث في كيفية إيجاد توازن مستدام بين الهوية الدينية للمواقع ومتطلبات السياحة العصرية في مواسم الحج. تهدف الدراسة إلى اقتراح استراتيجيات تنظيمية فاعلة، تشمل توظيف التكنولوجيا الرقمية في الجولات الافتراضية، ورفع وعي السياح بالسلوكيات الملائمة، لضمان إدارة تكاملية تحمي البعد الروحي وتدعم التبادل الثقافي. كلمات مفتاحية: السياحة، الحج، الأنثروبولوجيا، المقدس، العائق، الانفتاح.

Abstract:

This study examines religious tourism as an anthropological phenomenon that bridges spirituality and cultural openness in the era of globalization. It highlighted text challenge of preserving the anthropological dimension of the sacred inherent in shrines amidst the influx of visitors.

While this form of tourism offers an opportunity to enhance intercultural understanding, it faces challenges regarding the preservation of the religious character of sacred sites.

The ritual of pilgrimage has acquired great importance in its tourism dimension, being a common practice across most religions—both man-made (positive) and divinely revealed (Abrahamic). Therefore, we adopt it as a case study in our research. The central problem of this study revolves around how to strike a sustainable balance between the religious identity of sacred sites and the requirements of modern tourism during pilgrimage seasons.

The study aims to propose effective organizational strategies, including the integration of digital technology through virtual tours and increasing tourist awareness of appropriate behaviors, to ensure an integrated management approach that protects the spiritual dimension while supporting cultural exchange.

Keywords: Tourism, Pilgrimage. Anthropology, Sacred, Barrier, Openness.

مقدمة:

تُعد السياحة الدينية من أعرق الأنماط السياحية التي عرفت البشرية، فهي نشاط ضارب في عمق التاريخ، ولا يقتصر على حقبة معينة، تتركز هذه السياحة على وجه الخصوص في الدول التي تحتضن معالم مقدسة ذات ثقل تاريخي وروحي، حيث يقصدها الزوار لأداء المناسك أو ممارسة الشعائر التعبدية، ورغم قدمها، إلا أنها تشهد اليوم طفرة هائلة في شعبيتها، متمثلة في التدفقات المليونانية نحو مراكز ثقيلة كمكة المكرمة للمسلمين والفاطيكات للمسيحيين؛ مما يؤكد أن الرغبة في نيل البركات والتقرب من الإلهية أو الحصول على مباركة رجال الدين، كانت ولا تزال المحرك الأساسي لانتقال الإنسان وترحاله بعيداً عن وطنه، مما جعلها ممارسة عابرة للأديان والمعتقدات.

السياحة مفاهيم وأبعاد

1.2 تعريف السياحة:

هو نشاط يتعلق بخروج الفرد من البيئة التي يقيم فيها لمدة لا تزيد على سنة متصلة، بغرض الترفيه أو المتعة أو غير ذلك من الأغراض، بشرط ألا يكون مرتبطاً بممارسة نشاط بغرض الحصول على دخل. "منظمة السياحة العالمية" (UNWTO) "السياحة الدولية، كما حددتها منظمة السياحة العالمية. (منظمة السياحة العالمية، 1995، الصفحات 8-11)

2.2 أهمية السياحة:

وفقاً لهذا المفهوم الواسع، تُمثل السياحة منظومة متكاملة من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية التي تساهم، بشكل مباشر أو غير مباشر، في تلبية احتياجات السائحين من سلع وخدمات.

وقد صنفت منظمة السياحة العالمية هذا القطاع ضمن 185 نشاطاً تشغيلياً - اقتصادياً واجتماعياً (دبور و أونال، 2013، الصفحات 1-11)، ومن أبرز ملامح هذا التأثير:

- تكامل القطاعات ترابط وثيق مع خدمات النقل، الاتصالات، الفنادق، والمطاعم.
 - الدعم اللوجستي والمالي: الاعتماد على المصارف، التمويل، والخدمات الإعلانية والترويجية.
 - الثقل العالمي: تصنيف السياحة كواحدة من أضخم الصناعات العالمية ومكوناً جوهرياً للتجارة الدولية بفضل بنيتها التحتية الواسعة.
- وبفضل هذه الشبكة المتشعبة وبنيتها التحتية الراسخة، أصبحت السياحة ركيزة أساسية في الاقتصاد العالمي وأحد أهم روافد التجارة الدولية.

أحدث الإسلام نقلة نوعية في مفهوم "السياحة" بعد أن ارتسمت في مخيلة بعض الأمم الغابرة كصورة من صور "رياضة النفس بالشقاء"، حيث كان السفر وسيلة لتعذيب الجسد قسراً أو زهداً متطرفاً في ملذات الدنيا، فجاء الإسلام ليرتقي بهذا المفهوم، مخلصاً إياه من شوائب التصورات الضيقة، ليعيد صياغته ضمن إطار من القيم النبيلة والمقاصد السامية؛ فبدلاً من أن يكون السفر عقاباً، جعله الإسلام رحلة إيمانية ترتبط بالأخلاق الفاضلة والغايات العظيمة التي تسمو بالروح وتفتح الآفاق.

ضوابط السياحة الدينية وأخلاقياتها

1.3 تعريف السياحة الدينية:

وردت تعاريف عدة للسياحة الدينية، سنذكر أبرزها:

تُعرف السياحة الدينية بأنها (الحري، 2012، صفحة 31) "السياحة التي تعتمد على زيارة السائحين للمواقع المتخصصة بالشعائر الدينية للتعرف على هذه المواقع والأنشطة التي ينظمها الزوار فيها"

السياحة الدينية من أهم أنواع السياحة، إذ أنها تعتمد على العقيدة، وتعتبر بمثابة عبادة. ويتميز هذا النوع من السياحة بالدافع الديني الذي يعد أقوى الدوافع الإنسانية وأكثرها رسوخاً في النفس البشرية (إبراهيم، 2014، صفحة 29).

ويمكن تعريف السياحة الدينية أيضاً بأنها (الصيرفي، 2007، صفحة 48) "التدفق المنظم للسياح من داخل البلاد وخارجها بهدف اكتشاف الأماكن الدينية وتاريخها، وكذلك القيم الروحية التي تمثلها لدين أو عقيدة معينة"

تفرد السياحة الدينية بتركيزها الجوهرى على البعد الروحي للإنسان، فهي تمثل مزيجاً متناغماً بين التأمل الإيماني والاطلاع الثقافي، إذ تستمد هذه السياحة قيمتها الاستثنائية من دوافعها الفطرية، حيث يسعى الزائر ليس فقط للتبرك بالأماكن المقدسة، بل لاستحضار تاريخها والحفاظ على إرثها الأثري.

وما يميز هذا النمط عن سائر أنواع السياحة هو قدرته الفريدة على منح الفرد حالة من السكينة والطمأنينة النفسية، محققاً بذلك توازناً بين المنافع الدينية والمكاسب الدنيوية، لا سيما حين تُمارس ضمن طابع جماعي يعزز روابط الألفة والمشاركة.

وتؤكد السياحة الدينية من خلال ضوابطها على التزام السائح الديني بمجموعة من القيم الروحية وأداء الواجبات الدينية التي من خلالها يفهم الإنسان غاية الحياة الروحية.

من الناحية الاعتبارية تحدد السياحة دينية بعنصرين أساسيين:

- الوجهة: إذ يحدد السائح وجهته وتوجهه بحيث يكون نحو مكان من الأماكن المقدسة المعروف عنها ذلك لدى فئة من الفئات أو ديانة من الديانات.

- القصد والغاية: إذ يتوجب في الزيارة اعتبارات دينية وروحية تخدم، الغرض وهو التقرب والعبادة وحصول البركة.

تتسم السياحة الدينية بمرونة المقاصد، إذ غالباً ما تقترن الغاية الروحية بأهداف دنيوية مشروعة؛ فالسائح الديني يسعى لاستثمار رحلته في تحقيق منافع متعددة تتجاوز حدود الشعائر، ويتجلى ذلك بوضوح في رحلة الحج، حيث يؤدي الحاج فريضته مع إمكانية السعي وراء "مآرب أخرى" تجارية أو معرفية أو اجتماعية، طالما ظلت في إطار المباح شرعاً ولم تصطدم بالمحظورات.

ومن هذا المنطلق، يمكن تعريف السياحة الدينية بأنها (معراج و جردات، 2005، صفحة 22) "الترحال نحو البقاع المقدسة والمواقع ذات الصبغة الروحية لتحقيق غايات تعبدية وحضارية متكاملة".

2.3 أبعاد السياحة الدينية:

بالرغم من حداثة مصطلح "السياحة الدينية" كتعريف اصطلاحى، إلا أن الظاهرة في جوهرها ضاربة في القدم، فلا تعكس حداثة التسمية حداثة الفعل؛ إذ ولدت مع نشأة الأديان والمعتقدات الأولى، وفي هذا السياق يمكن إدراج "الحج" كنموذج معياري لهذا النمط السياحي، كونه يركز على قصد المواقع المقدسة باختلاف الشرائع؛ فلكل ديانة حواضنها الروحية، بدءاً من المعابد لدى اليهود، وصولاً إلى الكنائس والأديرة عند المسيحيين، والمساجد والأضرحة والمقامات كما يتجلى في الحج إلى مكة المكرمة أو زيارة بيت المقدس لدى المسلمين، وتتمحور الغاية الأسمى لهذه الرحلات حول ممارسة الشعائر التعبدية.

لا تنحصر السياحة الدينية في أداء الشعائر فحسب، بل تمتد لتكون جسراً للتواصل الحضاري والاطلاع على التراث العالمي، حيث يتجاوز مفهوم السياحة الدينية حدود الممارسة التعبدية المحضة ليشمل أبعاداً استكشافية ومعرفية؛ إذ يهدف الزوار أحياناً إلى التعرف على معتقدات الآخرين وتراثهم التاريخي.

ويتجلى ذلك في زيارة المسلمين للمساجد الأثرية حول العالم لاستحضار أجداد الفتوحات والحضارة الإسلامية، أو ارتيادهم للكنائس والمعابد القديمة تذوقاً لفنون العمارة وتاريخها، وفي المقابل، نجد اهتماماً مماثلاً من غير المسلمين بزيارة المساجد الكبرى - وفق الضوابط المتاحة- لاستكشاف عبقرية العمارة الإسلامية وفهم خصوصياتها الجمالية والهندسية.

في كثير من الأحيان ترتبط السياحة الدينية في العالم الإسلامي بالمساجد التاريخية مثل مسجد القيروان في

تونس، ومسجد الكتبية في مراكش بالمغرب، ومسجد محمد الفاتح في إسطنبول، أو بالمساجد المعاصرة مثل جامع

كما تُعد ظاهرة ارتياد الأماكن المقدسة ممارسة إنسانية عريقة ضاربة في جذور التاريخ، حيث شكلت هذه المواقع نقاط جذب بشرية

هائلة على مر العصور، ولم يقتصر تأثيرها على الجانب الروحي فحسب، بل كانت المحرك الأساسي لنشوء وتطور الحواضر الكبرى؛ إذ

تشكلت نواة العديد من المدن التاريخية حول المعابد والمزارات المقدسة، لتنمو وتتسع بفضل وظيفتها الدينية التي منحها حيوية اقتصادية واجتماعية مستدامة.

إن السياحة الدينية في كثير من الأحيان تكون صعبة ومكلفة، وقد تنطوي على مخاطر كثيرة، ولكن السائح الحاج يمارسها برضا وراحة بال، لأنها تهدف إلى إشباع الحاجات والرغبات الروحية والدينية، وكل حسب اعتقاده (خوجلي، 2008، صفحة 2)، والرغبة تنبع من القلب والضمير، وليست مجرد تسلية أو متعة أو إثارة. لا تقتصر هذه السياحة بالضرورة على موسم أو فترة محددة، ولا ترتبط بالحاجة إلى توفير الراحة النفسية.

لا يقتصر أثر الرحلة الدينية على البعد التعبدى فحسب، بل يتجاوزه ليشمل آفاقاً سياحية متنوعة، فبعد إتمام الشعائر والطقوس، يميل السياح عادة إلى استثمار وجودهم في المنطقة للتعرف عن قرب على المعالم الدينية والأثرية، أو البحث عن الترفيه والاستجمام، كما أن هذه الرحلات تمثل فرصة للتشاقف، من خلال معايشة أنماط الحياة والتقاليد السائدة، وتأمل الشواهد التاريخية التي تختزنها تلك البقاع.

3.3 عالمية السياحة الدينية

تُعد السياحة الدينية ظاهرة إنسانية عالمية تتجاوز حدود الأديان والمذاهب، حيث تفرض معظم المعتقدات على أتباعها جملة من الطقوس والالتزامات المرتبطة بأماكن وأزمنة محددة. وتتجلى هذه الظاهرة في "محطات الحج" التي تشرعها الديانات السماوية؛ فالمسيحيون يشدون الرحال سنوياً إلى الفاتيكان وبيت المقدس في حركية عالمية ذات دلالات عميقة، ولليهود والبوذيين كذلك وجهاتهم المقدسة. والمثير للانتباه أن هذه النزعة نحو "المركز المقدس" تمتد حتى لغير المتدينين الذين يتخذون من بعض الرموز مقصداً لهم، مما يؤكد أنها فطرة بشرية أصيلة.

وقد اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية الإسلامية (باقادر، 2004، الصفحات 89,90) بالخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة السياح نحو الأماكن المقدسة والتفاعل الذي يحدث بين المجتمع المضيف والسائح "الآخر".

وفي السياق الإسلامي، يبرز الحج كأعظم نموذج لهذه الشعائر وتوابعاً لأركان الإسلام، حيث تندفق الملايين نحو مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولا يقتصر هذا الزخم على موسم الحج، بل تستمر العمرة على مدار العام كرافد أساسي للسياحة الدينية، خاصة في مواسم روحية كشهر رمضان والمولد النبوي. كما يحتل بيت المقدس مكانة استثنائية في الوجدان الإسلامي باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين، فضلاً عن قيمته التاريخية لدى المسيحيين، مما يجعله نقطة تلاقي حضارية فريدة.

تزخر الجزائر برصيد هائل من مقومات السياحة الدينية التي تؤهلها لتكون وجهة عالمية رائدة، شريطة استكمال البنية التحتية وتوفير المتطلبات اللوجستية اللازمة. فالحضارة في الجزائر ضاربة في عمق التاريخ؛ إذ تحتضن شواهد أثرية لأنشطة إنسانية ذات أبعاد مقدسة عبر العصور، وقد تعزز هذا الثراء الروحي من خلال احتكاك الجزائر بحضارات كبرى خلّدها التاريخ، وعلى رأسها الحضارة الفينيقية، مما جعل أرضها مزيجاً فريداً من التراث الإنساني المقدس

وفي العهد الإسلامي، توالى عليها الحكم الإسلامي، ومنها الخلافة الفاطمية وبنو حماد والمرابطون، وتم نقل جمال الحضارة الأندلسية والفن المعماري الإسلامي إليها، كما عرفت الخلافة العثمانية بآثارها التاريخية والمعمارية (شبوطي، 2011، صفحة 87).

تزخر الجزائر منذ قرون إشعاع علمي وديني، جسده شخصيات جليلة وعلماء كبار تركوا بصمة خالدة في تاريخ الأمة، وتعد تلمسان بعراقتها قطباً روحياً يحتضن معالم دينية تجتذب الزوار الباحثين عن العبق التاريخي، وهو ذات الشأن لمدينة بجاية التي عُرفت بحواضرها العلمية وصالحيتها، وفي الجنوب، يتجلى هذا اللون من السياحة الروحية في بسكرة بمسجد "سيدي عقبة"، والزواوية العثمانية بـ "طولقة".

كما تمتد هذه السلسلة النورانية لتشمل العاصمة بضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، ووهران بـ سيدي الهواري، وتلمسان بـ سيدي بومدين الغوث، كما يبرز قصر "كوردان" بمدينة عين ماضي كمعلم سياحي ديني عالمي، حيث احتضن "مؤتمر الإخوة التجانية" الذي استقطب وفوداً غفيرة من المغرب والسنغال ومصر، مما يؤكد أن الزوايا والمدن الجزائرية كانت وما تزال مقصداً دولياً ذا ثقل روحي وازن.

وعلى المستوى الخارجي في العالم الإسلامي، توجد مزارات ومواقع لها مكانتها في السياحة الدينية، فيوجد بالأردن عدة مواقع ومزارات وأضرحة، تحرك السياحة بهذا البلد، كقبور أهل الكهف...

وفي سوريا الكثير من المعالم التي تعتبر أداة جذب للكثير؛ كبصرى الشام التي نزل بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير، وكذلك قبور أمهات المؤمنين، وكثير من الصحابة رض ي الله عنهم.

أما العراق، فيعج بكثير من مثل هذه الأماكن. وتجذب عددا كبيرا، خاصة لدى الشيعة، كالعتبات المقدسة والنجف وكربلاء وبغداد (المراقب العراقي، 2010).

كما توجد في مصر كذلك، كثير من مثل هذه الأماكن، وخاصة بالصالحين فيها والأولياء، وما تقيمه من موالد، كحدث ديني واقتصادي.

4.3 مميزات السياحة الدينية:

- تمتاز السياحة بالآثار والتراث والمعتقدات السائدة في المجتمع، فهي تربط بين الماضي والحاضر، وتعتبر جزءا هاما من ذاكرة الشعوب، وتستهوئ الآخرين، للبحث والتعرف على ثقافة شعب ما ومقدساته و أعرافه.
- ترتبط السياحة الدينية بأنواع أخرى من أصناف السياحة، وتشابك معها، فهي تتلازم مع السياحة الترفيهية والإشباع، إذ يغتنم السائح الفرصة لتلبية احتياجاته المختلفة في هذا المجال، وذلك في إطار ممارسته ليوميته العادية، كما ترتبط بالسياحة العلمية ومراكز التعليم؛ إذ بإنشاء مؤسسات تعليمية خاصة في المجال الديني، من شأنه أن يحدث نشاطا يعزز هذا النوع من السياحة.
- وعادة ما يصاحبها، ما يعرف بالمهرجانات والولائم، والموالد وغيرها من التظاهرات الدينية والتراثية والثقافية، والتي تتزامن في المعتاد مع بعض المناسبات الهامة في حياة الناس، كالمولد النبوي وعاشوراء والذكرات السنوية.

كما أنها فرصة تحرك التجارة وغيرها، وقد ترتبط بسياحة المتقنيات وعقد المؤتمرات وأيام دراسية فيها، لدراسة الظواهر التاريخية والدينية والاجتماعية، واستعراض حياة وإسهامات بعض الأعلام ورجال الإصلاح والمشايخ، من خلال اللقاءات التي تبرمج بين العلماء من مختلف الجهات للمناظرة والبحث والدراسة.

5.3 ضوابط وأخلاقيات السياحة الدينية

تتنوع الأطر التنظيمية للسياحة الدينية تبعاً لخصوصية الدول والمعتقدات وطبيعة المواقع المقدسة، إلا أنها تلتقي جميعاً عند ركائز مشتركة تضمن التوازن بين "حرية الزيارة" و"قدسية المكان"، حيث أن الالتزام بهذه الضوابط يحول السياحة الدينية من مجرد "رحلة عابرة" إلى تجربة حضارية راقية تسودها السكينة، وتساهم في الحفاظ على الهوية الروحية للمكان مع ضمان أمن وسلامة الزوار.

1.5.3 الضوابط الأخلاقية:

- يمكن إجمال أبرز هذه الضوابط فيما يلي:
- الالتزام السلوكي والمظهري (الاحترام الثقافي):
- إبداء التوقير الكامل لشعائر ومعتقدات الدين الذي يمثل الموقع المقدس.
- التقيد باللباس المحتشم الذي يتلاءم مع جلالة الأماكن الروحية.
- تجنب التصرفات المنافية للسكينة، كالحديث الصاخب، أو الخوض في المسائل الدنيوية، أو التصوير في المواضع المحظورة التي تستوجب الخصوصية التعبدية.

2.5.3 مقتضيات الإدارة والأمنية:

هناك مجموعة من الضوابط الأمنية والإدارية تفرض الدول على السياح من أجل السير الحسن للمناسبات الدينية، تُلزم بها الزائر، ومن أبرزها:

- ضرورة التسجيل المسبق واستيفاء التصاريح اللازمة، لاسيما في المواسم ذات الكثافة المليونية كالحج والعمرة.
- الامتثال التام لإرشادات الجهات المنظمة والتعاون مع نقاط التفتيش الأمنية لضمان سلامة الوفود وانسيابية الحركة.

3.5.3 البروتوكولات الصحية والوقائية:

- تُلزم الدول المستقبلية لزوارها خاصة في المناسبات الدينية بالالتزام ببروتوكولات صحية حفاظا على سلامة باقي الزوار، ومنعاً لانتشار الأمراض والأوبئة التي قد يحملها الزائر من موطنه، ومن أبرزها:
- الالتزام بالشروط الطبية الضرورية، مثل أخذ اللقاحات المطلوبة وإجراء الفحوصات الدورية.
 - تبني معايير النظافة الشخصية والوقاية (كالكمامات في الزحام) لضمان بيئة صحية آمنة للجميع.

4.5.3 حماية التراث والمواقع المقدسة:

- تتبنى الدول المستقبلية للزوار خاصة القاصدين زيارة الأمان المقدسة؛ قوانين وضوابط تُلزم بها الزوار تبعاً لما تفرضه المقدسات المقصودة، ومن أهمها:
- المحافظة على الممتلكات والآثار الدينية من أي عبث أو إتلاف، باعتبارها إرثاً إنسانياً وتاريخياً.
 - الحرص على نظافة الموقع وتجنب السلوكيات التجارية العشوائية أو الاستغلالية التي قد تسيء لروحانية المكان.
 - الامتثال القانوني والسيادي.
 - احترام القوانين والأنظمة المعمول بها في الدولة المضيفة.
 - الابتعاد عن طرح الأفكار المتطرفة أو الانخراط في السجلات العقدية المستفزة.
 - عدم استغلال التواجد الديني لتوزيع منشورات أو ممارسة نشاطات تبشيرية تخالف التشريعات المحلية.

6.3 جدلية العوائق والضوابط في حماية المقدس

تتداخل مفاهيم "العوائق" و"الضوابط" في السياحة الدينية لتشكيل سياجاً يحمي قدسية المكان وأبعاده الروحية، وهي تختلف باختلاف الأديان والمزارات وفقاً للتقاليد والأعراف السائدة. فبينما يمثل "المقدس" جوهر التجربة، فإن حمايته قد تفرض قيوداً تمنع غير المنتمين للمعتقد من ولوج فضاءات معينة أو معاشة لحظات التأمل في حضرتها. وفي المنظور الإسلامي، تُفرض جملة من الضوابط الشرعية على المعالم الدينية الكبرى (كالحرمين الشريفين والمساجد)، ومن أبرزها:

- شرط الإسلام لولوج الحرمين: تقتضي الأحكام الشرعية قصر دخول الحرمين الشريفين على المسلمين فقط؛ وبذلك يمتنع على غير المسلم دخول هذه البقاع حتى وإن كان دافعه البحث المعرفي، أو الرغبة في استكشاف حقيقة الإسلام، أو معاشة أجوائه الروحية، وذلك صيانة لخصوصية هذه الأماكن وتفرغها للعبادة المحضة.
- وقد ناقش الإمام الشافعي: في كتابه "الأم" مسألة دخول غير المسلم للمسجد، (الماوردي، 1999، صفحة 268، 269) حيث اشترط فقهاء الشافعية إذن المسلمين وأن يكون الداخل على هيئة لا تنتهك حرمة المسجد (كالتعري أو النجاسة) أما منع دخول

المسجد للكافر عند السادة الشافعي والمالكية فهو خاص بالمسجد الحرام، لقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } سورة التوبة : 28

- ضابط اللباس الشرعي (المظهر اللائق): تشترط الشريعة الإسلامية الالتزام بهيئة لباس محترمة تليق بجلال المكان؛ حيث يلزم الرجل بستر عورته، وتُطالب المرأة بارتداء الحجاب وفق الأحكام الفقهية المقررة. ولا يُسمح بالدخول لمن لا يلتزم بهذه المعايير حتى وإن لم تكن غايته التعبد، ولأجل ذلك نجد في مداخل العديد من المعالم السياحية الدينية (كالمساجد الكبرى) ألبسة محتشمة مخصصة للزوار، يلتزمون بارتدائها كشرط أساسي للسماح لهم بالزيارة والاستكشاف.

- شرط الطهارة: تُعد الطهارة شرطا جوهريا لولوج المساجد والأماكن المقدسة في الإسلام؛ إذ يُشترط فيمن يدخل هذه الرحاب أن يكون على طهارة تامة، إعظاماً لحرمة المكان وصوناً لبيئة العبادة، حتى وإن كان الداخل يهدف للاطلاع على العمارة أو التاريخ دون أداء الصلاة، وهو ما أشار إليه "ابن قدامة" في "المغني"، في فصل "أحكام المساجد وصيانتها"، (ابن عابدين، 2007، صفحة 659) حيث يُفصل في وجوب صيانة المساجد عن كل ما ينافي التعظيم، وستر العورة شرط أساسي لحرمة المكان حتى لغير المصلين .

إن هذه الضوابط لا تُعد "عوائق" بالمعنى السلبي، بل هي أدوات تنظيمية وفقهية تهدف إلى الحفاظ على "هيبة المقدس" وضمان بقاء هذه المعالم كحواضن للسكينة والروحانية، بعيداً عن صخب الممارسات السياحية الدنيوية الصرفة.

الفعل السياحي والمقاربة الأنثروبولوجية

1.4 ما وراء الفعل السياحي

تتجاوز الأنثروبولوجيا في دراستها للسياحة الدينية الأهداف الاقتصادية أو الأبعاد التنظيمية البحتة، لتغوص في البنى الرمزية والاجتماعية والثقافية التي تشكل جوهر الرحلة الروحية، فالمكان المقدس في المنظور الأنثروبولوجي ليس مجرد "وجهة"، بل هو فضاء لإنتاج المعنى، وصياغة الهوية، وتجسيد الانتماء، لذلك فإن زيارة الأضرحة ومقامات الحج لا تُصنف كمجرد "نشاط سياحي" أو "ممارسة شعبية"، بل هي فعل سوسيولوجي مركب يتقاطع فيه الدين بالثقافة، وتلتقي فيه الهوية بالزمن والاقتصاد .

تتجلى عبقرية المنظور الأنثروبولوجي في كونه يرى "المقدس" ككائن حي يتنفس من خلال الزوار؛ حيث تتحول الرحلة من "سفر مكاني" إلى "سفر وجداني" يعيد صياغة علاقة الإنسان بالكون والمجتمع والتاريخ.

2.4 الأبعاد المفاهيمية للظاهرة والرمز والطقس

إن تحليل السياحة الدينية أنثروبولوجيا يعني استنطاق الظاهرة من زاوية الطقوس والرموز التي يحملها الأفراد في ترحالهم؛ فهي ليست مجرد انتقال في الجغرافيا، بل هي حركة اجتماعية ذات دلالات سيميائية عميقة، وفي هذا السياق، يُنظر إلى السائح الديني كفاعل اجتماعي يعيد إنتاج معاني القداسة من خلال تفاعله مع الفضاء، مما يجعل من هذه السياحة ظاهرة ثقافية متكاملة تعكس كيفية استثمار الجماعات البشرية للمقدس في بناء واقعها المعاصر.

3.4 السياحة الدينية: جسر للتواصل ومنصة للتبادل الثقافي

تتجاوز السياحة الدينية كونها مجرد شعيرة تعبدية أو نشاطا اقتصاديا، لترتقي إلى دورها كأداة فعالة للانفتاح الحضاري ومد جسور التواصل بين الشعوب في عالم يتسم بالتعددية، إذ يساهم استيعاب السياحة الدينية في هذا الإطار في إذابة الجليد بين الأفراد، ويحفز على بناء فهم أعمق للآخر، متجاوزا بذلك حدود الاختلاف العقدي نحو فضاء إنساني أرحب.

4.4 الرؤية الأنثروبولوجية للحوار عبر "المقدس"

يؤكد علماء الأنثروبولوجيا أن السياحة الدينية ليست حكرًا على المؤمنين بمعتقد ما، بل هي وسيلة حضارية راقية لتعزيز الروابط بين الأمم، فيشير (Ian Reader & Tony Walter)، (Reade & Walter, 1993, pp. 27,28) إلى أن الأماكن المقدسة أصبحت تجتذب "السائح الثقافي" وليس فقط المتدينين، وكيف يتحول الفضاء المقدس إلى منصة يلتقي فيها الإيمان بالشغف المعرفي، فعندما تُمارس بروح الانفتاح والاحترام المتبادل، فإنها تخلق تجربة فريدة تمزج بين اليقين الإيمان، والشغف المعرفي، والانفتاح الثقافي، مما يفضي في النهاية إلى بناء عالم أكثر تسامحاً وتفهماً، عن ذوبان الفوارق العرقية والثقافية بين البشر عند التجمع في فضاء مقدس، وكيف يخلق "المقدس" حالة من الإخاء الإنساني العالمي تتجاوز الخلافات العقائدية.

كما تتحلل الدراسات (Timothy & Olsen, 2006, p. 45) بالتفصيل كيف تساهم زيارة الأجانب للمزارات الدينية (كالفاتيكان أو المساجد الأثرية) في تفكيك الأحكام المسبقة وبناء "التسامح العالمي".

5.4 التجربة الحية والقيم الإنسانية

إن زيارة المعالم الدينية تتيح للوافدين - سواء كانوا مدفوعين بالوازع الديني أو الفضول المعرفي - فرصة نادرة لاستكشاف رموز الآخر، ومعتقداته، وأنماط حياته، فعلى سبيل المثال: تمنح زيارة كنيسة القيامة، أو المسجد الأقصى، أو دولة الفاتيكان، تجربة حية تبرز بين الروحانية والتاريخ.

تعكس هذه الزيارات صورة واقعية عن المجتمعات التي تحتضن هذه المقدسات وتحميها، مما يحول "المكان المقدس" من حيز مغلق إلى فضاء مفتوح للحوار الإنساني والثقافي.

المقومات الأنثروبولوجية لظاهرة السياحة الدينية

1.5 ملامح السياحة الدينية منظور أنثروبولوجي

تحدد الملامح الأنثروبولوجية للسياحة الدينية من خلال زوايا تحليلية تذهب إلى ما وراء الحركة المجردة للأفراد، لترصد بعمق التفاعل بين الإنسان والمقدس وفق المحاور التالية:

- الطقوسية والدلالات الرمزية: ينصبّ الاهتمام الأنثروبولوجي على "الأداء الطقسي" للزوار داخل الفضاءات المقدسة؛ حيث تُحلل ممارسات كالحج، والتبرك، وتقديم النذور، باعتبارها أفعالاً محملة برموز دينية واجتماعية عميقة تعيد صياغة علاقة الفرد بالميثافيزيقا، وهو ما أشار إليه الأنثروبولوجي (Clifford Geertz) في كتابه العمدة "تأويل الثقافات" (كليفورد، 2009، الصفحات 160-185)

- في سياق تعريفه للدين بأنه "نسق من الرموز"، ويحلل الطقوس (كالترك والندور) باعتبارها أفعالا تُضفي معنى على الوجود وترتبط الفرد (بما وراء الطبيعة).
- تجلي الهوية وأصالة الانتماء: تُعد الرحلة الدينية آلية جوهرية لترسيخ الهوية الدينية والثقافية؛ فهي تمثل "عودة رمزية للجذور" تمنح الفرد شعورا بالالتحام مع جماعة عقدية كبرى، مما يعزز إحساسه بالوجود والانتماء الحضاري. وقد ناقش "دانيال بيتس وفرد بيلوج" في دراستهما "الأنثروبولوجيا الثقافية" (بيتس و بيلوج، 2007، صفحة 412) كيف أن الانتقال إلى فضاء مقدس هو رحلة "نفسية-ثقافية" لاستعادة الذات وتأكيد الانتماء لجذور عقدية عابرة للجغرافيا الجسدية العادية.
 - ديناميكية العلاقات الاجتماعية: تساهم السياحة الدينية في صياغة شبكات تواصل اجتماعي عابرة للحدود، حيث تُذيب الفوارق الفردية لصهارة "الجماعة المؤمنة". وقد أثبت Victor Turner صاحب نظرية "الجمهرة الروحية" أو (Communitas)، أن الحج في أماكن مثل مكة أو الفاتيكان يُذيب الفوارق الطبقية والعرقية والاجتماعية تماما، ويصهر الزوار في حالة (Victor, 1978, pp. 1-39) "مساواة مطلقة ووعي جمعي موحد".
 - الاقتصاد المقدس و"السوق الروحية": يرصد المحلل الأنثروبولوجي التماس المباشر بين "المقدس" و"المادي"؛ إذ تتحول المواقع الدينية إلى مراكز نشاط اقتصادي حيوي، مما يوجد ما يمكن تسميته بـ "السوق الروحية" التي تزوج بين المنفعة المادية والغاية التعبدية، وهو ما بينه "Rodney Stark" و"Roger Finke" في نظرية "سوق الأديان" (Rodney & Roger, 2000, p. 193) وكيف تتحول السلع الروحية (الهدايا، الإقامة، النقل) إلى اقتصاد مادي حيوي يُلبّي رغبات دنيوية وتعبدية في آن واحد، وهو ما ينطبق تماما على التمازج الاقتصادي الروحي في مواسم الحج والزيارات.
 - التحول الثقافي في عصر العولمة: تدرس الأنثروبولوجيا كيفية تحول المعاني والطقوس تحت وطأة التحديث والعولمة، وتراقب بدقة أثر التدفقات السياحية على البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المضيفة، وكيفية تكيف "المقدس" مع مقتضيات العصر، فيرصد "أبادوراي" كيف تؤثر التدفقات البشرية "التدفق السياحي"، (أرجون، 2011، الصفحات 85-110) في عصر العولمة على إعادة تشكيل طقوس وثقافات المجتمعات المحلية المضيفة، وكيف يتكيف "المقدس" مع آليات التحديث، مثل حوسبة الطقوس أو تسليعها.
 - إشكالية التمييز بين "الحاج" و"السائح": تطرح الأنثروبولوجيا تساؤلا جوهريا حول التداخل بين "الحج" كفعل تعبدي خالص، وبين "السياحة الدينية" كنشاط قد يمتزج بالترفيه أو الاستكشاف الثقافي، مما يجعل الحدود الفاصلة بين المفهومين مرنة وضبابية في الممارسة الواقعية، قد بينت دراسة لإريك كوهين "وضع متصل (Continuum)" (Erik, 1979, pp. 179-201) حيث وضح فيها كيف يتداخل دافع "الحاج" -الباحث عن المركز الروحي- مع دافع "السائح" -الباحث عن الاستجمام والثقافة-، مبيّنا أن الحدود بينهما مرنة جدا في السياحة الدينية المعاصرة.
 - إن هذه المراكز تجعل من السياحة الدينية مختبرا أنثروبولوجيا بامتياز، تتقاطع فيه الأشواق الروحية بالاحتياجات المادية، لتنتج ظاهرة إنسانية فريدة تجمع بين الثبات العقدي والتغير الثقافي.

2.5 السياحة الدينية كرافعة للانفتاح الثقافي

تتجاوز السياحة الدينية أبعادها العقائدية لتتحول إلى منصة حيوية للتشاقف والحوار، وذلك من خلال:

- تفكيك الصور النمطية: المساهمة الفعالة في تقويض الأحكام المسبقة وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول الأديان والحضارات الأخرى.
- تجذير قيم الاحترام المتبادل: من خلال المعاشية المباشرة لشعائر الآخر ومقدساته؛ إذ تخلق مواسم الحج الشعبي وزيارات مقامات الأولياء (كما في الحالتين المغاربية والهندية) فضاءات تفاعلية تمزج بين الساكنة المحلية والزوار الوافدين من مشارب جغرافية متنوعة.
- إرساء قيم الحوار الحضاري: استبدال نزعات الانغلاق أو الصدام بقنوات تواصل فكري وإنساني مفتوحة.
- التفاعل الرمزي والجمالي: يتجسد التبادل الثقافي في أبهى صوره من خلال المشاركة الجماعية في الطقوس، سواء عبر تذوق المطبخ التقليدي، أو التفاعل مع الرقصات الروحية والموسيقى الصوفية، مما يفتح آفاقاً رحبة للتبادل الرمزي بين الشعوب.

3.5 مركاتز نجاح السياحة الدينية كجسر للتواصل

لضمان تحول السياحة الدينية إلى وسيلة انفتاح ناجحة، لا بد من استيفاء جملة من الشروط:

- صون قدسية الفضاء: ضرورة إدراك السياح للرمزية الروحية للموقع والالتزام بأداب حضوره.
- الوساطة الثقافية الرصينة: توفير مرشدين سياحيين مؤهلين لتقديم شروحات عقائدية وتاريخية بأسلوب موضوعي وحيادي.
- مرونة المجتمعات المضيفة: تعزيز ثقافة قبول الآخر لدى الساكنة المحلية، بغض النظر عن انتمائه الديني أو العرقي.
- السياسات التشريعية المتساهلة: تبني قوانين تسهل تدفق الزوار من مختلف الجنسيات دون تمييز، وتكرس قيم التعايش.

4.5 مفهوم "الحج الثقافي" في المنظور الأنثروبولوجي

يطرح التحليل الأنثروبولوجي مفهوماً معاصراً يُعرف بـ "الحج الثقافي"، وهو يُعدّ يصحح النظرة التقليدية للزيارة الدينية من خلال الحقائق التالية:

- تعدد الدوافع: لم يعد الإيمان العقدي هو المحرك الوحيد لزيارة المواقع المقدسة؛ فكثير من الزوار يقصدونها بحثاً عن "المعنى" أو رغبة في خوض تجربة روحية وجودية، حتى وإن كانت خارج نطاق معتقداتهم الأصلي.
- الاحتفاء بالفن والتاريخ: يتجلى الحج الثقافي في الانجذاب نحو جماليات العمارة (كالمساجد العتيقة أو الكاتدرائيات القوطية) والرغبة في التواصل الإنساني ضمن فضاءات روحانية جامعة.
- من المحلية إلى العالمية: تتحول الزيارة من تجربة روحية منغلقة إلى فرصة حقيقية للحوار الكوني، مما يؤكد أن السياحة الدينية باتت أداة لبناء تفاهم عالمي يتجاوز منطق الطقوس المجرد أو النشاط التجاري الصرف.

- خاتمة:

في ختام هذا البحث، نخلص إلى جملة من النتائج الجوهرية التي ترسم خارطة الطريق لمستقبل السياحة الدينية وأبعادها الحضارية في السياق الأنثروبولوجي، وأبرزها:

- الضخامة الكمية والاقتصادية: تمثل السياحة الدينية بمختلف تجلياتها أضخم حركة بشرية منظمة عالميا، حيث تستقطب مئات الملايين من الزوار سنويا، مما يولد إيرادات تُقدر بعشرات المليارات من الدولارات، وهو ما يؤكد دورها كمحرك اقتصادي كوني.
- إحياء المسارات الروحية كرسالة سلام: إن بعث "طرق الرسل والأولياء والصالحين" وتحويل مآثرهم إلى مقاصد سياحية ليس مجرد نشاط سياحي، بل هو خطوة استراتيجية لنشر قيم العدل والسلام، مستثمرة في الجوهر التوحيدي والمشارك للإنساني.
- الثقاف والمنظومة الأخلاقية: تبرز السياحة الدينية كأداة للتقارب الحضاري، مما يستوجب على المنظمات الدولية إرساء ميثاق أخلاقي وقيمي يحفظ حقوق الزوار والدول المضيفة، لضمان استدامة الفوائد الروحية، الصحية، والأخلاقية لهذا القطاع.
- إدارة القيمة الروحية والتسويق النوعي: ضرورة إبراز القيمة الفعلية للمواقع الدينية لرفع مستوى الإدراك العالمي لأهميتها، مع تبني استراتيجيات تسويقية تراعي الخصوصية العقدية لكل مكان، والسمات النفسية والديموغرافية للسائحين.
- الاستدامة والصيانة الهادفة: التأكيد على أهمية الصيانة الدورية للأماكن المقدسة وتخصيص ميزانيات مستقلة لرعايتها، لضمان جاهزيتها الدائمة لاستقبال التدفقات البشرية دون المساس بقدسيتها.
- الإدارة بالإيمان والكفاءة: ضرورة إسناد إدارة هذه المعالم لأفراد يجمعون بين "الإيمان بقدسية المكان" و"التأهيل العلمي"، ليكونوا سفراء حقيقيين للقيم التي يمثلها الموقع وتاريخه العريق.
- المنتج السياحي الرمزي: تعزيز المواقع بمنتجات تذكارية (صور، أفلام، قطع رمزية) تعكس حقيقة المكان، مما يساهم في خلق "دعاية مجانية" مستدامة من خلال الزوار العائدين إلى بلادهم.
- التكنولوجيا وحماية المقدس: تفعيل الحلول الرقمية (مثل الجولات الافتراضية) لتقديم بديلة تمنح الزوار معرفة عميقة دون إحداث ضغط مادي يؤثر على سلامة أو قدسية المواقع الحساسة.
- الشراكة المؤسسية والتوعية: بناء تحالفات استراتيجية بين المؤسسات الدينية والجهات السياحية، مع تطوير برامج توعوية مكثفة للسياح حول "إتيكيت" السلوك داخل الفضاءات المقدسة.
- لكي تتحول السياحة الدينية إلى عامل جذب سياحي ومستدام، يتحتم على الجهات المسؤولة الانتقال من "الإدارة التقليدية" إلى "الإدارة الحضارية" التي توازن بين صيانة الآثار (إسلامية، مسيحية، وغيرها) وبين الحفاظ على طهارتها وهبتها الدينية كإرث إنساني مشترك.

المصادر والمراجع:

- Cohen Erik. (1979). *A Phenomenology of Tourist Experiences*. Sociology Bress.
- Dallen J Timothy و Daniel H Olsen. (2006). *Tourism, Religion and Spiritual Journeys*. London: Routledge.
- Ian Reade و Tony Walter. (1993). *Pilgrimage in Popular Culture* 1st published. (London: The Macmillan Bress LTD.
- Stark Rodney و Finke Roger. (2000). *Acts of Faith: Explaining the Human Side of Religion*. University of California Press.
- Turner Victor. (1978). *Image and Pilgrimage in Christian Culture*. New York: Columbia University Press.

- أبادوراي أرجون. (2011). الحداثة على نطاق واسع: الأبعاد الثقافية للعمولة. (عابد إسماعيل، المترجمون) هيئة أبوظبي للثقافة.
- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي. (1999). الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي. (علي محمد وعادل أحمد عبد الموجود، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو بكر أحمد باقادر. (2004). الإسلام والانثروبولوجيا. بيروت: دار الهادي.
- المراقب العراقي. (12, 07, 2010). السياحة الدينية نفط دائم متى نستفيد منه؟
- جيرتز كليفورد. (2009). تأويل الثقافات. (محمد بدوي، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- حباس رجا الحربي. (2012). التسويق السياحي في المنشآت السياحية. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- حكيم شبوطي. (جويلية، 2011). الدور الاقتصادي للسياحة مع الإشارة لحالة الجزائر. مجلة البحوث والدراسات العلمية،
- دانيال بيتس، و فرد وبلوج. (2007). الأنثروبولوجيا الثقافية. (د. محمد الجوهري وآخرون، المترجمون) الرياض: دار المريخ.
- محمد الصيرفي. (2007). تخطيط السياحة. القاهرة: دار الفكر الجامعي.
- محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز ابن عابدين. (2007). رد المختار على الدر المختار. (ر، المحرر) بيروت: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد عبد العظيم إبراهيم. (2014). السياحة الدينية. القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.
- مصطفى محمد خوجلي. (2008). السياحة الدينية. المدينة المنورة: كلية التربية للبنات.
- منظمة السياحة العالمية. (1995). مجموعة إحصاءات الإنفاق السياحي. الدليل الفني رقم 1، مدريد.
- نبيل دبور ، و أوموت أونال. (2013). السياحة الدولية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات. منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية.
- هوارى معراج، و محمد سليمان جردات. (2005). السياحة وأثرها في التنمية الاقتصادية العالمية حالة الاقتصاد الجزائري. مجلة الباحث.